



أوراق علمية
(174)



مركز سلف للبحوث والدراسات
www.salafcenter.com

العنايةُ بِحِفْظِ الصَّحِيحِينَ نماذجٌ وصورٌ

إعداد

فوزي بن عبد الصمد فطاني
باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات

009665 565 412 942 جوال سلف



SALALFCENTER



salafcenter3@gmail.com



SALALFCENTER

الحمد لله .

اشتغل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلقي السنة من مصدرها، ونقلوها لمن بعدهم امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «تَسْمَعُونَ، وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ»^(١)، وقال أيضاً كما في حديث وفد عبد قيس في آخره: «احفظوه، وأخبروا من وراءكم»^(٢)، وبوب الإمام البخاري عليه بقوله: (باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم، ويخبروا من وراءهم).

وهكذا نشر التابعون السنة لمن بعدهم حتى وصلت إلينا عبر سلسلة من الرواة والحُفَظَّاء المتقين، وقد صنّف المحدثون في ذلك المصنفات الكثيرة، وانبثق منها من العلوم والفنون الدقيقة ما لا تجده عند أمة من الأمم، فالإسناد من خصائص هذه الأمة المحمدية.

وبعد أن استقرت السنة في بطون الكتب تداولها العلماء بالتدريس رواية ودراية، حفظاً وقرأة، استنباطاً وفهماً.

ونظراً لمكانتها في هذا الدين، وأنها الوحي الذي لا ينطق عن الهوى، كان لمجرد روايتها وحفظها فضل وأي فضل؟! إذ بشر النبي صلى الله عليه وسلم من حفظها بالنضارة والحُسْنِ والبهاء، فقال: «نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع منا مقالة فحفظها، فأدّاها كما سمعها، فَرُبَّ حَامِلٍ فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٣).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «رب حامل فقه لا فقه له» دليل على أن مجرد الحفظ فضيلة، وأن فاعله محمود ومثاب وإن لم يفهم أو يفقه ما يحفظ.

ويفهم من الحديث كذلك: أن من أفنى عمره في حفظ السنة وتحفيظها روايةً لا درايةً لا يوصف بالذم؛ إذ النضارة المذكورة في الحديث لا تختص بسنٍّ معيّن، بل تشمل الكبار والصغار، النساء والرجال، وبهذا يتبين لنا خطأ من ينكر على المشتغل بالحفظ دون الدراية، مع إقرار الجميع بأهمية الدراية.

(١) رواه أحمد (٢٩٤٥)، وأبو داود (٣٦٥٩)، من حديث ابن عباس، وصححه ابن حبان (٦٢)، وقال الحاكم (١/٩٥): "صحيح على شرط الشيخين، ليس له علة"، ولم يتعقبه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٨٧).

(٣) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، والترمذي (٢٨٤٧)، وأبو داود (٣٦٦٠)، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه ابن حبان (٦٧)،

٦٨) والحاكم وغيرهما، وانظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب (١٨)، وموافقة الخُبَرِ الخُبَرِ لابن حجر (١/٣٦٤).

وقوله: «وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» فيه أن الطالب الذي يحفظ العلم والسنة بين يدي معلّمه قد يوفّقه الله ويشتغل بالفهم والدراية ويفوق معلّمه، ويستفيد من حفظه للسنة واستيعابه لها في الاستدلال والاستنباط، كما هو الحال في حفظ القرآن الكريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

عناية علماء الحديث بحفظ السنة:

قام فرسان هذا المضممار بالتسابق في الحفظ، حتى برز لقب (الحافظ) الذي لا ينصرف إلا للمحدّث، قال الخطيب البغدادي: (الوصف بالحفظ على الإطلاق ينصرف إلى أهل الحديث خاصّة، وهو سمة لهم لا تتعدّاهم، ولا يوصف به أحدٌ سواهم؛ لأن الراوي يقول: حدثنا فلان الحافظ، فيحسن منه إطلاق ذلك؛ إذ كان مستعملًا عندهم، يوصف به علماء أهل النقل ونقاده. ولا يقول القارئ: لقّني فلان الحافظ، ولا يقول الفقيه: درسي فلان الحافظ، ولا يقول النحوي: علمني فلان الحافظ. فهي أعلى صفات المحدّثين، وأسمى درجات الناقلين^(١)).

وذكر ابن الجوزي في كتابه (الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ) والإمام الذهبي في كتابيه (سير أعلام النبلاء) و(تذكرة الحفاظ) عددًا من الحفاظ، مبيّن شيئًا من أحوالهم في طلب العلم وسعة حفظهم ومكابدهم في سبيل تحصيله.

وقد كان الحُفَاطُ الأوائل يحفظون الآلاف من الأحاديث والآثار، بل وبطرقها المتعددة التي قد تصل بمجموعها إلى مئات الآلاف، وسيرهم في ذلك معلومة مشهورة.

المتقدمون كانوا يحفظون السنة مسندة:

وأما حفظهم للأسانيد فذاك منبعثٌ من معرفتهم بأهميتها، وقد اشتهرت عبارة ابن المبارك في هذا المقام، حيث يقول: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"^(٢).

وقال ابن تيمية موضعًا سبب اهتمام أهل السنة بالإسناد: (وعلمُ الإسناد والرّواية ممّا حصّ الله به أُمَّةٍ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وجعلَه سُلْمًا إلى الدّراية، فأهل الكتاب لا إسنادَ لهم يَأْثرون به المنقولات، وهكذا المُبتدعون من هذه الأُمَّةِ أهل الضلّالات، وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة أهل الإسلام والسُّنة؛ يفرقون به بين الصحيح والسقيم، والمعوج والقويم، وغيرهم من أهل

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٧٢).

(٢) صحيح مسلم "المقدمة" (١/ ١٥).

البدع والكفار إنما عندهم منقولات يأتونها بغير إسناد، وعليها من دينهم الاعتماد، وهم لا يعرفون فيها الحقَّ من الباطل^(١).

بعض المتقدمين يحفظون الضعيف خشية اختلاطه بالصحيح:

بلغ الشأن ببعض المحدثين الأوائل إلى عدم الاكتفاء بحفظ الصحيح فحسب، بل جمعوا معه الأحاديث الضعيفة؛ لتكون مكشوفةً ومتميِّزةً لا يختلط بالصحيح عند الرواية، فهذا إسحاق بن راهويه يقول: أحفظ أربعة آلاف حديث مزوَّرة، فقليل له: ما معنى حفظ المزوَّرة؟! قال: إذا مرَّ بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فلياً^(٢). وقال الإمام البخاري رحمه الله: (أحفظُ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح)^(٣).

والأمثلة على ذلك كثيرة، والمقصود أن الحفظ سمة تميز بها المحدثون، وحفظهم لم يكن مقتصرًا على الصحيح، بل شمل الضعيف، وربما وصل إلى الضَّعْف من المحفوظ! ومع هذا لم يُنكر عليهم هذا الفعل بحجة أنه معيق عن الدراية والفهم!

فالكلام هنا عن الأئمة الحفاظ ومن يحذو حذوهم لا عن العاجز الضعيف، ولكل مقام مقال.

الحفظ خير معين على الفهم:

كم مِنْ مسألةٍ تَرَدُّ ونصوص الوحي تلوح بحكمها، إلا أن ضعف الحفظ والذاكرة تحول بين رؤيتها واكتشافها، ومما ميز علماءنا الأوائل الحفظُ المقرون بالتدبير؛ فهذا ابن عباس من المكثرين في رواية الحديث نجد أنه استعمل هذا الحفظ وأحسن استغلاله في فهم كتاب الله تعالى، فكان الحفظ من الأسباب النافعة التي هيأها الله له في استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له حين كان غلامًا: «اللهم علِّمه الحكمة»، وفي رواية: «علِّمه الكتاب»^(٤).

وقد عقد ابن القيم مقارنة بين أبي هريرة وابن عباس في الحفظ والفهم وأيهما فاق الآخر، فقال: (علم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوا، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٩).

(٢) ينظر: تاريخ بغداد (٦ / ٣٥٢).

(٣) انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٢٧٥)، وتاريخ بغداد (٢ / ٢٥)، وتاريخ دمشق (٥٢ / ٦٤).

(٤) رواه البخاري (٣٧٦٥).

للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبتت من كل زوج كريم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟! وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق؛ يؤدي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درسا؛ فكانت همته مصروفة إلى الحفظ، وبلغ ما حفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط وتفجير النصوص وشق الأنهار منها واستخراج كنوزها^(١).

وهذا النص يبين لنا بوضوح أهمية الفهم والإدراك للعلوم والمحفوظ، علماً أن أبا هريرة معدود من الفقهاء؛ كما أشار إلى ذلك ابن حزم^(٢) والذهبي^(٣) وغيرهما، إلا أن موطن الشاهد الذي نحن بصددده هو أن ابن عباس رضي الله عنهما يُعد من المكثرين في الرواية، وأن هذا الحفظ أعانه على الاستنباط والتدبر بتوفيق الله تعالى.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي مبيِّناً أهمية الحفظ للفهم: (ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعني)^(٤).

والإمام البخاري -وهو قامة في الحفظ- لم يكن منفصلاً ومنفصلاً عن الفهم، بل كانت تراجمه لأبواب الصحيح من أدق التراجم وأنفسها؛ مما يدل على علو كعبه في الفهم والدراية. ومن تأمل في حال الناس مع الاتكال على الكتب والفهم وإهمال الحفظ وجد أن ذلك قد يصدر ممن لا خبرة له في العلم، أو من العاجز عن الحفظ، فيكونه باعته الحسد والعياذ بالله.

قال الماوردي: (وربما استثقل المتعلمُ الدرس والحفظ، وأتكل بعد فهم المعاني على الرجوع إلى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة، فلا يكون إلا كمن أطلق ما صاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع منه، فلا تعقبه الثقة إلا خجلاً والتفريط إلا ندمًا، وهذه حال قد يدعو إليها أحد ثلاثة أشياء: إما الضجر من معاناة الحفظ ومراعاته، وطول الأمل في التوفر عليه عند نشاطه، وفساد الرأي في عزمته. وليس يعلم أن الضجور خائب، وأن الطويل الأمل مغرور، وأن الفاسد الرأي مصاب، والعرب تقول في أمثالها: حرفٌ في قلبك خيرٌ من ألفٍ في كتِّبك، وقالوا: لا خير في علم لا يعبرُ معك الوادي، ولا يعمر بك النادي)^(٥).

(١) الوابل الصيب (ص: ١٣٨-١٣٩).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٩٢).

(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢-٣٣).

(٤) ينظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٣٥).

(٥) أدب الدنيا والدين (ص: ٥٧-٥٨).

الحفظ من منازل العلم:

مكانة الحفظ في علوم الشريعة ليست كمكانتها في العلوم التجريبية، وقد تحدث العلماء عن منازل العلم، مع اختلاف يسير في الترتيب.

قال محمد بن النضر الحارثي: (أول العلم الاستماع ثم الحفظ)^(١). وفي رواية عنه: (الإنصات له، ثم الاستماع له، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم بثه)^(٢).

وقال أبو عمرو بن العلاء: (أول العلم: الصمت والثاني: حسن الاستماع والثالث: حسن السؤال والرابع: حسن الحفظ والخامس: نشره عند أهله)^(٣).

وقال سفيان: (أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر)^(٤).

وقال فضيل بن عياض: (أول العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر)^(٥).

وقال عبد الله بن المبارك: (أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر)^(٦).

من هنا نستطيع القول: إن نصوص المحدثين المتقدمين تبرز لنا مكانة الحفظ في علم الحديث الشريف، وبعض هؤلاء من رواة الصحيحين، فكانوا بعد تلقيهم الحديث واستماعهم وإنصاتهم لما يرويه الشيوخ يستعينون بالله في حفظه، ولا نشك أنهم لا يقصدون حفظ المتون المختصرة المتأخرة مع أهميتها؛ لأنهم كانوا في عصر الرواية.

أهمية الحفظ في الصغر:

النسيان من غوائل العلم وآفاته، قال الحسن البصري: (لولا النسيان كان العلم كثيرا)^(٧)، وقال

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٢).

(٢) انظر: العلال، رواية عبد الله (٢٠٩، ١١٥٠).

(٣) انظر: الفقيه والمتفقه (٢/ ١٩٩).

(٤) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٣).

(٥) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٢).

(٦) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٢).

(٧) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٤٨).

الزهرى: (إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة)^(١).

وأفة النسيان لها أسبابها، وهي متنوعة، إلا أن مما يعين على تثبيت العلم حفظه في الصغر، ففي الصِّبا صفاء القلب وقلة الهم وقوة الذاكرة، ولا ينبغي أن تفوت على الطفل، فالحافظة لدى الطفل الصغير أقوى من الفهم؛ لذا كان اعتناء المسلمين بالحفظ في الصغر محط اهتمام الآباء والأمهات، ومن المأثور المشهور في ذلك قول الحسن البصري: "طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر"^(٢)، وقال علقمة: "ما حفظت وأنا شاب كأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة"^(٣)؛ لذا كان بعضهم يرى إكراه الصغير على ذلك؛ لأنه لا يعلم فائدة الحفظ حتى يكبر، قال عبد الله بن داود الخريبي (ت ٢١٣هـ): "ينبغي للرجل أن يكره ولده على سماع الحديث"^(٤)، وروي مثله عن سفيان الثوري^(٥)؛ وذلك أن العلم في الكبر سريع التفلت لا يكاد يثبت، حتى قال بعضهم ما مفاده: "العلم في الكبر كالنقش في النهر، أو كالنقش في البحر"^(٦).

ومن لطيف ما ورد في ترجمة شيخ الشام إسماعيل بن عياش الحمصي أنه "كان من الحفاظ المتقنين في حدائته، فلما كبر تغير حفظه، فما حفظ في صباه وحدائته أتى به على جهته، وما حفظ على الكبر من حديث الغرباء خلط فيه وأدخل الإسناد في الإسناد وألزم المتن بالمتن"^(٧).

وهذا يؤكد ما ذكرنا من أهمية الحفظ في الصغر ومدى رسوخه، وهذا لا يعني عدم ثبوت الحفظ ورسوخه مطلقاً لدى الكبار، فالصحابة رضوان الله عليهم نقلوا لنا هذا الدين -الكتاب والسنة- وهم كبار، إلا أن حديثنا عن طبيعة الحفظ عامة لدى الناس والخليفة الجليلية أن الصغير مفطور على ذلك، كما أن هذا ليس تزكية عامة لكل الصغار، فقد يوجد منهم من لا يحسن الحفظ؛ كما أن من الصغار من يرزق الفهم ويُستشار في الأمور الكبار، وكان عمر رضي الله عنه إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتیان فاستشارهم يتغي حدة عقولهم^(٨).

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٤٣).

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٥٧).

(٣) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٣١١).

(٤) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص: ٦٦).

(٥) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص: ١٢٧).

(٦) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٥٥)، والبيهقي في المدخل (ص: ٣٧٥).

(٧) انظر: المجروحين، لابن حبان (١/ ١٣٢).

(٨) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٧٢)، المدخل للبيهقي (ص: ٣٧٢-٣٧٣).

صور من عناية العلماء بحفظ الصحيحين أو أحدهما:

أولاً: مَنْ حفظ الصحيحين أو أحدهما:

١ - عبد الله بن عيسى السرقسطي، أبو محمد الشيباني (٥٣٠هـ):

كان يحفظ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن ظهر قلب، وله على صحيح مسلم تأليف حسن لم يكمله، وله اتساع باع في اللغة^(١).

٢ - أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن، أبو سعد البغدادي ثم الأصبهاني (٥٤٠هـ):

قال ابن السَّمْعَانِي: (سمعت مَعْمَر بن عبد الواحد يقول: أبو سعد البغداديّ يحفظ صحيح مسلم، وكان يتكلم على الأحاديث بكلامٍ مليح)^(٢).

وفي "التحبير": (كان حافظاً كبيراً، تام المعرفة، يحفظ جميع صحيح مسلم، وكان يملي من حفظه)^(٣).

٣ - عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن حمدان، أبو الخير الأصبهاني (٥٦٨هـ):

قال ابن النجار: (كان من حفاظ الحديث، سمعت جماعة من أصبهان يقولون: إنه كان يحفظ الصحيحين، وكانوا يفضلونه على الحافظ أبي موسى بالحفظ. وقال الإمام عبد الله الجبائي: كان أبو الخير يحفظ البخاري، ويقول: من أراد أن يقرأ الإسناد حتى يقرأ المتن ومن أراد أن يقرأ المتن حتى يقرأ الإسناد)^(٤).

٤ - ابن عبد المؤمن: يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن علي، صاحب المغرب (٥٨٠هـ):

قال عبد الواحد بن علي التميمي: (صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين، أظنه البخاري)^(٥).

٥ - القاسم بن فيره بن خلف الرعيني أبو محمد الشاطبي إمام القراء (٥٩٠هـ):

كان ضريراً، ولد بشاطبة (في الأندلس)، وتوفي بمصر، وهو صاحب "حرز الأمانى".

(١) انظر: الوافي بالوفيات (١٧ / ٢١٤).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام (١١ / ٧٢٤).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠ / ١٢١).

(٤) انظر: تذكرة الحفاظ (٤ / ٧٨-٧٩).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١ / ٩٩).

قال الصنفدي: (كان إذا قرئ عليه البخاريُّ ومسلم والموطأ يصحُّ النَّسخ من حفظه)^(١).

٦ - محمد بن إبراهيم بن خلف الأندلسي المالقي (٥٩٠هـ):

قال الأبار: (كان صدرًا في الحفاظ مقدّمًا معروفًا، يسرد المتون والأسانيد، مع معرفة بالرجال وحفظ للغريب، سمع منه جُلّة، وحدث عنه أئمة، سمعت أبا سليمان بن حوط الله يقول عن ابن الفخار: إنه حفظ في شببته سنن أبي داود، فأما في مدة لقائي إياه فكان يذكر صحيح مسلم، وكان موصوفًا بالورع والفضل، مسلّمًا له في جلاله القدر ومتانة العدالة، استدعي إلى حضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه بها، فتوفي هناك في شعبان سنة تسعين وخمسمائة)^(٢).

٧ - ابن زهر: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي الإشبيلي (٥٩٥هـ):

قال الأبار: (كان أبو بكر بن الجديزيكيه، ويحكي عنه أنه يحفظ "صحيح البخاري" متنًا وإسنادًا)^(٣).

٨ - عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي أبو محمد المقدسي (٦٠٠هـ):

قال الحافظ عبد الغني: (كنت عند الحافظ أبي موسى، فجرى بيني وبين رجل منازعة في حديث، فقال: هو في صحيح البخاري، فقلت: ليس هو فيه، فكتبه في رقعة ورفعها إلى أبي موسى يسأله، فناولني أبو موسى الرقعة، وقال: ما تقول؟ فقلت: ما هو في البخاري، فخرج الرجل)^(٤). وهذا فيه دليل واضح على استحضاره لما في صحيح البخاري.

وقال الضياء: (سمعت إسماعيل بن ظفر يقول: جاء رجل إلى الحافظ عبد الغني فقال: رجل حلف بالطلاق: إنك تحفظ مائة ألف حديث؛ فقال: لو قال أكثر لصدق)^(٥).

قال الضياء: (رأيت في النوم بمرو كأن البخاري بين يدي الحافظ عبد الغني يقرأ عليه من جزء، وكان الحافظ يرد عليه، أو ما هذا معناه)^(٦).

٩ - اليونيني: تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد البعلبكي الحنبلي (٦٥٨هـ):

(١) نكت الهميان في نكت العميان (ص: ٢٢٨).

(٢) ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٠٠).

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٩٩)، التكملة (٢/ ٥٥٥-٥٥٦).

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٤٨).

(٥) ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١١١).

(٦) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٤٨).

قال الحافظ عمر بن الحاجب: (من جملة محفوظه "الجمع بين الصحيحين" للحميدي، وحدثني أنه حفظ "صحيح مسلم" جميعه وكرر عليه في أربعة أشهر، وكان يكرر علي أكثر "مسند أحمد" من حفظه، وأنه كان يحفظ في الجلسة الواحدة ما يزيد على سبعين حديثاً، وقال ولده قطب الدين: حفظ "الجمع بين الصحيحين" وحفظ "صحيح مسلم" في أربعة أشهر، وحفظ سورة الأنعام في يوم واحد، وحفظ ثلاث مقامات من الحريرية في بعض يوم، وكان الأشرف يحترمه ويعظمه، وكذلك أخوه الصالح، وقدم في أواخر عمره دمشق، فخرج الملك الناصر يوسف إلى زيارته بزواية الفرنشي وتأدب معه^(١).

١٠ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَدَاةِ الْمَالِقِيِّ (٧٠٤هـ):

قال ابن الخطيب: (كان يحفظ "صحيح مسلم" عن ظهر قلب، ويلقي غالبه سنداً وامتناً بالجامع، مع عذوبة لفظ وطيب نغمة، ويضيف إلى ذلك من كلام ابن الجوزي أشياء^(٢)).

١١ - مُوسَى بْنُ يَلْكُحْتِ الْمَعْمُودِيِّ (حدود ٧٣٠هـ):

كان من أعاجيب الزمان في الحفظ يستظهر (صحيح البخاري) حفظاً حتى لقب (البخاري) وعرف به، وكان يعرف الفروع المذهبية، وكان يقصد للإفتاء بالرخص، فامتحن بسبب ذلك مراراً، وكان يعقد مجالس الفقه في كل بلد دخله^(٣).

١٢ - حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَزْلِقِ بَدْرِ الدِّينِ ابْنِ الْمَزْلِقِ الشَّافِعِيِّ (٩٦٥هـ):

كان يختم في رمضان كل سنة صحيح البخاري تحت قبة النسر حفظاً^(٤).

١٣ - مُحَمَّدُ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ الْحَسَنِيِّ مُحَدِّثِ الشَّامِ فِي عَصْرِهِ (١٣٥٤هـ):

حفظ الصحيحين غيباً بأسانيدهما، ونحو ٢٠ ألف بيت من متون العلوم المختلفة^(٥).

ثانياً: مَنْ حَفِظَ الْجَمْعَ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ وَمَخْتَصِرَاتِهِ:

١ - أَحْمَدُ بْنُ الشَّهَابِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ رَاجِحِ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَقْدِسِيِّ (٦٣٨هـ):

(١) ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٥٥).

(٢) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ٣٨).

(٣) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٦/ ١٤٨).

(٤) ينظر: الكواكب السائرة (٢/ ١٣٧).

(٥) ينظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٥٨).

كان يحفظ (الجمع بين الصحيحين) للحميدي، قاله الحافظ الضياء والمنذري، وكان يقوم الليل ويداوم على صلاة الضحى صلاة حسنة، وكان لا يترك الاشتغال ليلاً ونهاراً ويطالع كثيراً ويشتغل، قال العز بن الحاجب: (كان إماماً ورعاً معظماً لفضله ودينه، عديم النظر في فنه، بالغ في طلب العلم، وكان وافر الحظ من الخلاف، وكان سليم الباطن ذا سمت ووقار وتعبد)^(١).

٢ - اليونيني: تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله البعلبكي الحنبلي (٦٥٨هـ):

سبق معنا أنه حفظ (صحيح مسلم)، وقد ذكر الحافظ عمر بن الحاجب من جملة محفوظه (الجمع بين الصحيحين) للحميدي^(٢).

٣ - محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن مسلمة القيسي ابن الطيب (٧٠١هـ):

استظهر في صغره أو ان طلبه جملة وافرة من دواوين العلم، فمما أكمله حفظاً: "تيسير" أبي عمرو، ورواية ورش له، و"كافي" ابن شريح، و"المفردات" له ولأبيه شريح، و"غنية من مهر وبغية من ظفر" لأبي الحسن محمد بن عبد الرحمن ابن عزيمة، و"شهاب" القضاعي، و"سيرة" ابن إسحاق تهذيب ابن هشام، و"رسالة ابن أبي زيد"، و"مختصر الطليطي"، و"جمل" الزجاجي، و"الفصيح"، و"مثلث قطرب"، و"منظومة" لأبي محمد عبد الوهاب، وشعر امرئ القيس والنابعة، وحفظ أكثر "التقصي"، و"ملخص القابسي"، و"تلقين المبتدي"، وكثيراً من "تفريع" ابن الجلاب، و"الجمع بين الصحيحين" لابن زرقون، ومن مجالس الوعظ، ومن شعر الطيب جد أبيه، ومن "سبويه" إلى أبواب النداء، وذلك نحو ثلثه، وجملة من "الموطأ"، و"صحيح البخاري"، و"مسلم"، و"جامع الترمذي"، و"سنن أبي داود"، و"النسوي"، و"الدارقطني"، و"إصلاح المنطق"، وطائفة من "أدب الكتاب"، وبعض "الجامع في القراءات" لأبي القاسم عبد الرحمن الطرسوسي، وبعض "الأحكام الصغرى"، ويسيراً من "مختصر ابن أبي زيد"، ومن "مقامات الحريري"، إلى غير ذلك^(٣).

٤ - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية (٧٢٨هـ):

قال البزار: (أول كتاب حفظه في الحديث "الجمع بين الصحيحين" للإمام الحميدي. وقلّ

(١) ينظر: طبقات الشافعيين (٢/ ٢١٩)، تاريخ الإسلام (١٤/ ٢٦٣).

(٢) ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٥٥).

(٣) ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (٤/ ٤٠٤-٤٠٦).

كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه، وكان الله قد خصّه بسرعة الحفظ، وإبطاء النسيان، لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء غالباً إلا ويبقى على خاطره؛ إما بلفظه أو معناه. وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره^(١).

٥ - ابن الصَّيرَفِيِّ: علاء الدِّين علي بن عثمان بن عمر بن صالح الدمشقي (٨٤٤هـ):

تميّز على أقرانه ومهر في الفنون، وحفظ (الجمع بين الصحيحين) قبل الفتنة، وعرضه على مشايخ العصر. وصار في الحفظ واحد عصره، ووعظ الناس سنين متطاوله من الفتنة وهلم جرّاً، وانتفع عليه الخاصّ والعام^(٢).

٦ - عَلِيِّ بن أَبِي بكر بن عَلِيِّ الشَّافِعِيِّ (٨٥٩هـ):

نشأ بالقاهرة فحفظ القرآن، والعمدة، ومختصر الجمع بين الصَّحِيحَيْنِ للدشنائِي، والشاطبيّين، والمنهاج الفرعي، وألفية النَّحْوِ^(٣).

٧ - محمد بن محمد بن أبي الحسن أبو عبد الله الجعبري الخليلي (كان حيّاً سنة ٨٨٩هـ):

حفظ القرآن، وبعض المنهاج، وألفية النحو، ومجمع البحرين في تجريد أحاديث الصحيحين في مجلد مرتب على الكلمات لجده، وقال: إنه عرض الأخير على الشمس المالكي الرملي حين إقامته عندهم بالخليل^(٤).

ثالثاً: مَنْ أدام القراءة والسماع في الصحيحين أو أحدهما:

التكرار من أساليب حفظ العلم، فكم من معلم أو متعلم أتقن الحفظ واستحضر مسائل الفن من خلاله، سئل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله عن دواء للحفظ، فقال: إدمان النَّظَرِ في الكتب^(٥).

وبين يدينا صور لمن أدام النظر في الصحيحين أو أحدهما، وكرر ذلك عشرات المرات، بل أوصلها بعضهم للمئات!

(١) الأعلام العلية (ص: ١٨).

(٢) ينظر: بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين (ص: ٢٣٦).

(٣) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٥ / ٢٠٤).

(٤) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩ / ١٥٢).

(٥) ينظر: جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٢٠٤).



قراءة البخاري (٧٠٠) مرة:

من أكثر ما ورد في كتب التراجم في تكرار صحيح الإمام البخاري ما جاء عن ترجمة الإمام غالب بن عبد الرحمن بن غالب ابن عطية المحاربي (١٨٥ هـ-)، قال ابن بشكوال: (كان حافظاً للحديث وطرقه وعلله، عارفاً بالرجال، ذاكراً لمتونه ومعانيه، قرأت بخط بعض أصحابنا أنه سمعه يذكر أنه كرر "صحيح البخاري" سبع مئة مرة، وكان أديباً شاعراً لغوياً ديناً فاضلاً، أكثر الناس عنه، وكف بصره في آخر عمره)^(١).

قراءة البخاري (١٥٠) مرة:

في ترجمة سليمان بن إبراهيم بن عمر نفيس الدين العلوي اليميني (٨٢٥ هـ-) أنه مرَّ على (صحيح البخاري) مئة وخمسين مرة ما بين قراءة وسماع وإسماع ومُقابله^(٢).

قراءة البخاري أكثر من (١٠٠) مرة:

وفي ترجمة أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن مقبل القاهري الحنفي المعروف بالتاجر (٨٠٥ هـ) قال البرهان الحلبي -تلميذه-: (إنه أخبره أنه قرأ صحيح البخاري إلى سنة ثمانين -أي: وسبع مئة - خمسا وتسعين مرة، وقرأه بعد ذلك مراراً كثيراً)^(٣).

من روى صحيح البخاري عن أكثر من (١٢٠) شيخاً قراءة وسماعاً:

عبد الرحمن بن محمد الأوجاقي، الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث المسند الحافظ الحجة الرحلة الناقد، تقي الدين ابن الشيخ محب الدين الأوجاقي المصري الشافعي (٩١٠ هـ-)، روى صحيح البخاري عن جمع كثير يزيد عددهم على المائة وعشرين نفساً ما بين قراءة وسماع^(٤).

إقراء البخاري أكثر من (٦٠) مرة:

جاء في ترجمة أحمد بن أبي طالب الحجار المعروف بابن الشحنة (٣٠ هـ-) -وكان قد تفرد بـ(البخاري) وعظم شأنه- قول القاضي تاج الدين: (أما أبو العباس الحجار الذي طار اسمه فملاً

(١) الصلة (٢ / ٤٥٨)، وانظر: تذكرة الحفاظ (٤ / ٤٥).

(٢) انظر: إنباء الغمر (٧ / ٤٧٤)، المجمع المؤسس (٣ / ١١٦).

(٣) ينظر: الضوء اللامع (١١ / ٧٩).

(٤) ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١ / ٢٣٤).

الأقطار فهو شيخ الإسناد، ومن تناديه الطلبة من كل ناد... ويقصده كل مسلم لسماع البخاري^(١). قال ابن كثير: (قُرئ البخاري عليه نحوًا من ستين مرة، وغيره، وسمعنا عليه بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحوًا من خمسمائة جزء بالإجازات والسماع)^(٢).

قراءة البخاري أكثر من (٦٠) مرة، ومسلم أكثر من (٢٠) مرة:

وجاء في ترجمة إبراهيم بن مُحَمَّد بن خَلِيل البرهان الحلبي (١٨٤ هـ) أنه قرأ البخاري أكثر من ستين مرة، ومسلمًا نحو العشرين، سوى قراءته لهما في الطلب، أو قراءتهما من غيره عليه^(٣).

إقراء صحيح مسلم أكثر من (٦٠) مرة:

الحافظ عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي (٤٤٨ هـ) كان ملازمًا لإقراء (صحيح مسلم)، فقرأ عليه أكثر من ستين مرة، قال حفيده عبد الغافر بن إسماعيل: قرأ عليه الحسن بن أحمد السمرقندي الحافظ (صحيح مسلم) نيفًا وثلاثين مرة، وقرأه عليه أبو سعيد البحيري نيفًا وعشرين مرة. قال الحافظ الذهبي: (هذا سوى ما قرأه عليه المشاهير من الأئمة)^(٤).

من سمع صحيح البخاري على أكثر من (٧٠) شيخًا، وصحيح مسلم على (١٠) شيخ:

عبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله بن سعد الله جمال الدين القرشي البكري الصديقي (٨٢٨ هـ) سمع البخاري على نيف وسبعين شيخًا من قبل الخمسين إلى بعد السبعين، وصحيح مسلم على عشرة^(٥).

قراءة البخاري أكثر من (٥٠) مرة:

أحمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله، المسند المعمر المحدث، شهاب الدين الكلوتاتي، أبو الفتح الكرمانى (٨٣٥ هـ)، قرأ (صحيح البخاري) نحوًا من خمسين مرة. وفي الضوء اللامع والتنبيه والإيقاظ: أكثر من ستين مرة^(٦).

قراءة البخاري أكثر من (٥٠) مرة:

(١) معجم الشيوخ للسبكي (١ / ٦٤).

(٢) البداية والنهاية (١٨ / ٣٢٨).

(٣) انظر: الضوء اللامع (١ / ١٤١)، والبدر الطالع (١ / ٢٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٠)، تاريخ الإسلام (٩ / ٧٠٩).

(٥) ينظر: الضوء اللامع (٤ / ١٨١).

(٦) انظر: الضوء اللامع (١ / ٣٧٨)، وشذرات الذهب (٩ / ٣٠٩)، والتنبيه والإيقاظ (١٣٧).

قال عبد الحي الكتاني (١٣٨٢هـ): (وجدت في ثبوت الشهاب أحمد بن قاسم البوني: رأيتُ خطَّ الفيروزآبادي في آخر جزءٍ من صحيح الإمام البخاري قال: إنه قرأ صحيح البخاري أزيدَ من خمسين مرّةً)^(١).

قراءة البخاري أكثر من (٤٠) مرة:

في ترجمة أحمد بن عثمان بن محمد بن الكلوتاتي (٨٣٥هـ-) من "المجمع المؤسس": (ثم حُبِّبَ إليه طلب الحديث، فابتدأ في القراءة من سنة تسع وسبعين - وسبع مئة - وهلمَّ جرًّا ما فترَ ولا ونا، فلعله قرأ البخاري أكثر من أربعين مرّةً)^(٢).

التحديث بصحيح البخاري (٣٦) مرة:

يونس بن يحيى بن أبي الحسن بن أبي البركات الهاشمي القصار (٦٠٨هـ-) حدّث بصحيح البخاري ٣٦ مرة، وسمع منه الكثير بمكة وجدة والجعرانة والحديبية والخيف من منى^(٣).

إقراء صحيح البخاري (٣٦) مرة:

عناية الله الحنفي الكشميري (١١٢٥هـ) قرئ عليه صحيح البخاري ستًا وثلاثين مرّةً^(٤).

قراءة صحيح البخاري أكثر من (٣٠) مرة على أكثر من (٣٠) شيخًا:

فخر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود المغربي التوزري ثم المصري المالكي، نزيل مكة (٧١٣هـ)، سمع الكثير، وأجازه خلق يزيدون على ألف شيخ، وقرأ الكتب الكبار وغيرها، وقرأ "صحيح البخاري" أكثر من ثلاثين مرّةً على أكثر من ثلاثين شيخًا، من أصحاب البوصيري، وقرأه على الهمداني بإجازته من أبي الوقت، وسمع بقراءته خلق كثير^(٥).

من سمع البخاري على (٢٨) شيخًا:

محمد بن أحمد بن منير القواس الدمشقي (٧٣٨هـ-) سمع صحيح البخاري على ثمانية

(١) فهرس الفهارس (٢/ ١٠٤٦).

(٢) المجمع المؤسس (٣/ ٥١).

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات (٢٩/ ١٨٨).

(٤) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (٦/ ٧٦٩).

(٥) انظر: البداية والنهاية (١٨/ ١٣٣)، وأعيان العصر (٣/ ٢٢٨)، والوافي بالوفيات (١٩/ ٣٣٤)، ودرة الحجال في

أسماء الرجال (٣/ ٢٠٩).

وعشرين شيخاً^(١).

قراءة البخاري على شيخ واحد أكثر من (٢٠) مرة:

جلال الدين أسعد بن محمد بن محمود الشيرازي الحنفي (٨٠٣هـ) كتب نسخة من البخاري في مجلد، وأخرى في مجلدين، وكان قد قرأ صحيح البخاري على الشمس الكرمانى أكثر من عشرين مرة^(٢).

إقراء صحيح البخاري أكثر من (٢٠) مرة:

إبراهيم بن محمد بن صديق ويدعى أبا بكر بن إبراهيم بن يوسف برهان الدين الدمشقي الشافعي، ويعرف بابن صديق (٨٠٦هـ)، قرئ عليه البخاري في حلب أربع مرار، وبمكة أزيد من عشرين مرة، فضلاً عن دمشق والمدينة النبوية^(٣).

من ختم البخاري أكثر من (٢٠) مرة:

أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني (١٣٢٣هـ) ختم الصحيح بفاس أزيد من عشرين مرة^(٤).

قراءة البخاري (١٧) مرة قراءة بحث وتدقيق:

علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله ابن السراج أبو الحسن الأنصاري السجلماسي الجزائري (١٠٥٧هـ) قرأ الستة على مشايخه دراية، وقرأ البخاري سبع عشرة مرة بالدرس قراءة بحث وتدقيق^(٥).

من قابل صحيح البخاري وأسمعه (١١) مرة في سنة واحدة:

شيخ العلماء أبو الحسين بن اليونيني البعلبكي الحنبلي (٥٧٠١هـ) قابل صحيح البخاري في سنة واحدة وأسمعه إحدى عشرة مرة^(٦).

(١) انظر: ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد (٣٨ / ١).

(٢) انظر: إنباء الغمر (١٥٧ / ٢)، وشذرات الذهب (٤٤ / ٩).

(٣) انظر: الضوء اللامع (١٤٧ / ١).

(٤) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات (١٨٦ / ١).

(٥) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١٧٣ / ٣).

(٦) انظر: معجم الشيوخ للذهبي (٤٢ / ٢)، والمعجم المختص بالمحدثين (١٦٩)، وذيل طبقات الحنابلة (٣٣٠ / ٤).

مَنْ رَوَى صحيح البخاري مرات كثيرة:

كريمة أم الكرام بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية، المجاورة بحرم الله (٤٦٣ هـ)، وقد بلغت المائة عام. روت صحيح البخاري مرات كثيرة، وماتت بكرًا لم تتزوج أبدًا^(١).

إقراء البخاري مرارًا:

محمد بن أحمد بن محمد بن المحب الزين أبو الخير الطبري الأصل المكي الشافعي (٨١٥ هـ) حضر مجالس العلم عند صهره القاضي أبي فضل النويري ولازمه، وكان يُقرأ عليه صحيح البخاري في غالب السنين^(٢).

من ختم الصحيحين مرات كثيرة:

محمد عابد بن أحمد بن علي بن يعقوب السندي الحنفي (١٢٥٧ هـ) كان مدة مقامه بالمدينة المنورة مثابرًا على إقراء كتب السنة، حتى إنه كان يختم الكتب الستة في ستة أشهر، بل إن الشيخ حسن الحلواني المدني ذكر أنه سمع على الشيخ عابد الكتب الستة في شهر، وأخذها عنه دراية في ستة أشهر^(٣).

ختامًا: من لم تصل به همته إلى المعالي فليلزم ما وسعه، ولا يبحث عن شماعة يعلّق بها عجزه وكسله، فيبحث عن جوانب النقص المتوهّمة لدى الحُفّاظ، وكأنهم ارتكبوا حوبًا من الموبقات، بينما الأمر لا يعدو أن يكونوا مأجورين في كلّ الأحوال، فمن بارك الله في فهمه وتقدّم في العلم وحصلت له الدراية فيها ونعمت، ومن قصرت به همته ولم يتجاوز الرواية فخيرًا قدّم، ولا ينبغي أن نصطنع العداة بين الرواية والدراية، ونفتعل خصومةً بلا معنى وخلافًا بلا ثمرة، والحقيقة أنّ تبين أهمية الدراية لا يحتاج إلى كيل الاتّهامات جزافًا، وافتعال كل تلك الهجمات، فمن الذي يقول: الحفظ مع الفهم دون الحفظ المجرد؟! هل من قائل بذلك حقًا؟!

إننا حين ننصح بطريقة التّخوين والتّحقير لأيّ برنامج علميّ نتسبب في إحداث نفرة من العلوم في نفوس الطلاب، ومن الأمور المذمومة تنفير المتعلمين من بعض العلوم النافعة والأساليب المرضية لدى بعض العلماء.

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٣٣).

(٢) انظر: فهرس الفهارس (٢ / ١٠٤٥).

(٣) ينظر: فهرس الفهارس والأثبات (٢ / ٧٢٢).

كما أن على المعلم أن يراعي مراتب الطلاب، فهناك من ذاكرته ضعيفة لا تقوى على الحفظ الكثير، فمثل هؤلاء يقتصر على حفظ الأربعين وعمدة الأحكام وبلوغ المرام، ففيها الخير الكثير، كما أنه لا يمنع من قوي على حفظ الصحيحين أن يحفظ الأربعين والعمدة والبلوغ أيضًا، فهي جامعة للأصول، وسلم للوصول لمراقي العلوم، مع العلم أنه لن يأخذ من وقته إلا النزر اليسير.

ولا تقتصر وسيلة استحضار الأحاديث النبوية بما ذكر، بل القيام بتدريسها وإدامة النظر فيها أسباب تعين على الضبط، والحمد لله أن جعل أبواب العلم ووسائله متعددة، وكل ميسر لما خلق له، والحمد لله رب العالمين.